

## حجية الحوار الإقناعي في القرآن الكريم حوارات سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام أمودجاً

د. حمزة حسن سليمان صالح

جامعة دبي

### ملخص:

يهدف هذا البحث إلى توضيح حجية الحوار في القرآن الكريم من حيث الأفكار والمبادئ التي تتناول الحوار بصورة شاملة متكاملة، وتكون ذات دلالة على أطرافه وضوابطه ومتطلباته ومقوماته وأدابه مع مراعاة ظروف البيئة ومستجداتها، والدعوة إلى الاستفادة من هذه النصوص التشريعية المحكمة ومحاولة تطبيقها في واقعنا المعاصر للخروج من الأزمات المتكررة التي تمر بها مجتمعاتنا بعدها عن المنهج القويم الذي رسمه لنا الشارع الحكيم.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم - الإقناعي - الحوار - الرحمن - حجية - حوارات - خليل

### Abstract:

The purpose of this research is to clarify the authenticity of the dialogue in the Holy Quran in terms of ideas and principles that deal with the dialogue in a comprehensive and integrated manner and be meaningful to its parties, its rules, requirements and rules, taking into consideration the circumstances of the environment and its developments. Of the repeated crises experienced by our societies away from the correct approach drawn by the wise street.

## مقدمة:

يعد الحوار أحد آليات الاتصال والتواصل التي تؤدي إلى توحيد الفكر وتداول الرأي وقبول آراء الآخرين واحترامها، وهو وسيلة إقناعية وتعليمية لا غني عنها لكل داعية وكل معلم وكل قائد وعليه لا بد للقادة من إتقان مهارات الحوار ومعرفة ضوابطه واستراتيجياته وكيفية إدارته، إذ إن الحوار يشكل أصل إسلامي راسخ ومنهج عقدي ثابت، وبه طرح الرب سبحانه وتعالى فكرة خلق الإنسان {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)} [البقرة: 30] وفي هذه الآيات بين الرب سبحانه وتعالى للملائكة أهم قواعد الحجبة في التحوار. وقد جمع القرآن الكريم بين دفتيه نماذج من الحوارات تضمنت حجج إقناعية دامغة لمبادئ الحوار. وعليه يحتاج المتحاورون في هذا العصر إلى استنباط الحجج الإقناعية للحوار الواردة في القرآن الكريم والافتداء بها في حواراتهم.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه بالدعوة إلى دين الله الحق وهو الإسلام، ودعاهم إلى الحوار ونهى عن حوار أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، من لين الكلام، وجمال القول، وضبط النفس، قال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46)} [العنكبوت: 46]. وأكد ضرورة اتباع الحوار لسوق الحجبة الدامغة مع المعاند، فقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى

الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258) { [البقرة: 258، 259].

ودعا الله إلى إظهار الحق، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يواجه الكافرين بالحقائق الثابتة ويسألهم عن حقيقة رضاهم بما فعل أسلافهم من قتل الأنبياء، وهم يعترفون بهم ويقدمونهم، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91) { [البقرة: 91].

ومن أهم أصول الحوار وضوابطه تحري الحجة والبرهان في الكلام، ولا قيمة لحديث أو كلام يعوزه الدليل والبرهان. ولكي يكون الحوار منتجا ومفيدا لا بد لطرفي الحوار أو أطرافه من بناء أفكارهم وآرائهم على الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة، كما لا بد من صحة الدليل ودقة النقل، فقد قيل: إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل. وعناية القرآن الكريم بالدليل والبرهان وجعله معيارا للقبول والرد في كل شيء سواء في الأفكار والمعتقدات، أو الأحكام والمبادئ أمر واضح لا يحتاج إلى كثير بيان واستدلال. ومن خلال نظرة سريعة إلى الآيات المباركة التي تشتمل على كلمات "البرهان" و"الحجة" نجد أن القرآن يدعو دائما إلى إقامة الدليل والبرهان كأساس لقبول الأمور وردّها: قال تعالى أمرا نبيه صلى الله

عليه وسلم بمطالبة الكفار بالدليل: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [64]1  
وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم. [65]2 قال تعالى: {قُلْ  
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي} [66]

#### أهداف البحث:

- 1- إقامة الحجة ودفع الشبهات والمفاسد من القول والرأي.
- 2- السير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.
- 3- تقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف المتحاوره.
- 4- تصحيح الأفكار، والوصول إلى النتائج الطيبة التي تخدم مصالح العباد، وتسهم في تقدم المجتمع.
- 5- تحقيق معاني القيم الإنسانية والحضارية التي دعا لها القرآن الكريم.

#### أهمية الموضوع:

يعدّ الحوار أفضل وسيلة للتلاقح الفكري وتوسيع آفاق الرؤية وتنمية الوعي وبناء المعارف وتطويرها من خلال تبادل الرأي وانفتاح كل من طرفي الحوار على خبرات الآخر. وهو من وسائل الاتصال الفعالة؛ حيث يتعاون المتحاورون على معرفة الحقيقة والتوصل إليها.

## منهج البحث:

تقتضي سلامة الوصول لنتائج إيجابية قيمة ومفيدة ان أتبع المنهج الوصفي الاستدلالي. وذلك بوصف مواضع الحوار التي وردت في الآيات القرآنية الكريمة، والاستدلال بها على حجية الوسائل المقنعة للمتداولين التي سلكتها الآيات القرآنية.

## المبحث الأول: تعريفات ومعان:

المطلب الأول: ما هية الحجة: لغة واصطلاحاً:

أولاً: معنى الحجة في اللغة:

كلمة حجة يبحث عنها في معاجم اللغة من باب: ح ج ج: والذي يهمننا هنا حسب طبيعة البحث: الحُجَّة: بضم الحاء، جاء معناه في مختار الصحاح بقوله: "وَ(الْحُجَّةُ) الْبُرْهَانُ وَ(حَاجَّهُ فَحَجَّهُ) مِنْ بَابِ رَدَّ أَيَّ غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ. وَفِي الْمَثَلِ لَجَّ فَحَجَّ فَهُوَ رَجُلٌ (مِحْجَاجٌ) بِالْكَسْرِ أَيَّ جَدِلُّ وَ(التَّحَاجُّ) التَّخَاصُّمُ وَ(المَحَجَّةُ) بِفَتْحَتَيْنِ جَادَّةُ الطَّرِيقِ"<sup>(1)</sup>. وعرفها صاحب المصباح المنير بقوله: "وَالْحُجَّةُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ وَالْجَمْعُ حُجَجٌ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرْفٍ وَحَاجَّةٌ مُحَاجَّةٌ فَحَجَّهُ

<sup>(1)</sup> الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح، (بيروت: المكتبة العصرية، ط 5، 1420هـ / 1999م)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، 67.

يَحُجُّهُ مِنْ بَابِ قَتَلَ إِذَا غَلَبَهُ فِي الْحُجَّةِ<sup>(1)</sup>. أما معجم اللغة العربية فقد فصل القول فيها فقال: "حجَّ الشَّخْصَ: غلبه بالحُجَّة... احتجَّ ب/ احتجَّ على يحتجَّ، احتجَّج/ احتجَّ، احتجَّجًا، فهو مُحْتَجِّجٌ، والمفعول مُحْتَجَّجٌ به. واحتجَّ بكذا: استند إليه، اتَّخَذَهُ حُجَّةً لَهُ وَعُذْرًا "احتجَّ بأقدميته لنيل ترقية"<sup>(2)</sup>. ويواصل التفصيل في معجم اللغة فيقول: "واحتجَّ عليه:

1- أقام الحُجَّةَ والبرهانَ "كان نحاة العرب لا يحتجَّون على الصَّواب اللَّغويِّ إلَّا بلغة عدد محدود من القبائل.

2 - عارضه مستنكرًا رافضًا فعله "احتجَّ الطَّلابُ على رفع مصاريف الدِّراسة.

وتحاجَّ يتحاجَّ، تَحَاجَّجُ/ تَحَاجَّجُ، تَحَاجَّجًا، فهو مُتَحَاجِّجٌ، تَحَاجَّجَ القَوْمُ: تجادلوا، تناظروا، تخاصموا مع بعضهم "إنهم يتحاجَّون بغير علم- لَوْأَدَّ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ {". وتَحَجَّجَ يَتَحَجَّجُ، تَحَجَّجًا، فهو مُتَحَجِّجٌ، تَحَجَّجَ فلانٌ: واحتجَّ بحجج باطلة وطلب الأمرَ في غير محلِّه. وحاجَّ يحاجَّ، حاجِجٌ/ حاجٌّ، مُحَاجَّةٌ وَحِجَاجًا، فهو مُحَاجٌّ، والمفعول مُحَاجٌّ (للمتعدِّي)، وحاجَّ الشَّخْصَ: أقام الحُجَّةَ والدَّلِيلَ لِيُثْبِتَ صِحَّةَ أمرٍ، برهن بالحُجَّةَ والدَّلِيلَ لِيَقْنَعَ الآخرين "حاجَّ لدعم افتراضٍ". وحاجَّ الشَّخْصَ: جادله وخاصمه، نازعه بالحُجَّةَ، ناظره "لا نريد أن نحاجَّهم بما

(1) أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية، دت)، 1/ 121

(2) عمر، د أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل. معجم اللغة العربية المعاصرة، (بيروت: عالم الكتب، طبعة، 1429هـ - 2008م)، 1/ 444.

قَرَّره العلماء المحدثون - {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ}. وَحُجَّةٌ [مفرد]:  
ج حِجَاجٌ وَحُجَجٌ:

- 1 - دليل وبرهان "قَدَّمَ للقاضي حُجَّةً قاطعة- {فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} "
  - 2 - دعوى أو ذريعة يُتَدَرَّعُ بها لإخفاء السَّبَبِ الحَقِيقِيِّ "تعددت الانقلابات العسكرية بحُجَّةِ إنقاذ الوطن".
  - 3 - محلّ ثقة "إنَّه حُجَّةٌ في هذا المجال". معجم اللغة العربية المعاصرة.
  - 4 - عالِمٌ ثَبَّتَ "إنَّه حُجَّةٌ في اللغة".
  - 5 - احتجاج وخصومة " {لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} "
  - 6 - (حد) مَنْ أَحَاطَ عِلْمُهُ بثلاثمائة ألف حديثٍ مَتَّنًا وإِسْنَادًا بأحوال رُوَاتِهِ جَرَحًا وتعديلاً وتَأْرِخًا.
- وَحُجَّةٌ مَلَكيَّةٌ: صَكُّ البَيْعِ، سَنَدٌ يُثَبَّتُ بِهِ حَقُّ انْتِقَالِ المَلَكيَّةِ<sup>(1)</sup>.
- وهكذا نلاحظ أن التعريفات اللغوية للفظه الحجة تميل إلى إقامة الدليل والبرهان والغلبة على الغير.
- ثانياً: معنى الحجة في الاصطلاح:

يقول الغزالي في تعريف الحجة: "والحجة هي التي يؤتى بها في إثبات

<sup>(1)</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة - مرجع سابق - (1/ 445).

ما تمس الحاجة إلى إثباته، من العلوم التصديقية<sup>(1)</sup>.

وجاء تعريفها في تحفة الحبيب بقوله: " وهي الدليل وهو ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن فالمراد بالحجج الأدلة الدينية التي أثبتت أمرا دينيا سواء كان عمليا أو اعتقاديا فدخل فيه بعض الأدلة العقلية كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث فهذا دليل ديني مع أنه عقلي وسمي الدليل حجة لأنه يحج به الخصم ولذا سميت البينة حجة"<sup>(2)</sup>. وقالوا: " الحُجَّة: هي ما يحتج به المرء على صحة قوله ومذهبه، وتسمى أيضا بالبرهان والسلطان. والمقصود بها هنا الدليل الشرعي على صحة قول المفتي"<sup>(3)</sup>.

وعرفها الأصفي بقوله: " وفي المصطلح العلمي الخاص: تختلف الحجة في المنطق عنها في الأصول، ففي المنطق نطلق (الحجة) على مجموعة من القضايا المؤتلفة والمعلومة التي تؤدي إلى استحصال المعرفة والعلم بمجهول تصديقي. وأما (الحجة) عند الأصوليين فهو ما يؤدي إلى اثبات حكم شرعي أو وظيفة شرعية أو عقلية بصورة قطعية"<sup>(4)</sup>. وبهذا يتضح معنا تقارب المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الحجة.

<sup>(1)</sup> العمرو، آمال بنت عبد العزيز. الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، (220).

<sup>(2)</sup> البُجَيْرِمِيّ، سليمان بن محمد بن عمر المصري الشافعي. تحفة الحبيب على شرح الخطيب

= حاشية البجيرمي على الخطيب، (بيروت: دار الفكر، 1415هـ / 1995م، 1/ 7).

<sup>(3)</sup> أرشيف ملتقى أهل الحديث، المحرم 1432 هـ / ديسمبر 2010 م، 1/ 44، 309.

<sup>(4)</sup> الأصفي، آية الله الشيخ محمد مهدي، المنهج العلمي في تريب الأدلة الاجتهادية.



## المطلب الثاني: معاني الحوار في اللغة والاصطلاح:

### أولاً: معنى الحوار لغة:

عرف الحوار صاحب لسان العرب عندما قال: "الحوار في اللغة: من الحور وهو: الرجوع عن الشيء إلى الشيء. ويقصد به: المراجعة في الكلام. وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "حار فلانٌ: رجَع " {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}: أنه لن يُبعث للحساب، ... تحاورَ يتحاور، تحاورًا، فهو مُتَحاور، تحاور القومُ: تبادلوا الحديثَ وتجادلوا "تحاور المديرُ مع رئيس المكتب- هذه الندوة للتحاور حول مستقبل أفضل- {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمْ}،.. حاورَ فلانًا:

1 - جاوبه وبادله الكلام "حاور أستاذَه- {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ}.

2 - جادله " {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ}.

3 - راوغه واحتال عليه<sup>(1)</sup>. وهذه تفصيلات إضافية لمعنى الكلمة في معجم

اللغة العربية: " حوار [مفرد]: ج حوارات (لغير المصدر):

1 - مصدر حاورَ.

2 - حديث يجري بين شخصين أو أكثر "جرى حوار مفتوح بين الرئيس ومندوبي

الصحف"، حوار أدبيّ- حوار الطُّرُش: تباحث بين مخاطبين لا يفهم بعضهم

بعضاً- حوار هادئ: خالٍ من الانفعال.

<sup>(1)</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، 1/ 578.

3 - نصّ إذاعيّ أو سينمائيّ أو تليفزيونيّ في قالب حديث بين أشخاص "جوار إذاعيّ/ تليفزيونيّ/ سينمائيّ".

ومُحاورة [مفرد]: ج محاورات:

1 - مصدر حاورَ.

2 - جدل يدور بين اثنين أو أكثر في موضوعات معيّنة "دارت مُحاورة بين الأعضاء حول قضية تعريب العلوم"<sup>(1)</sup>.

ثانياً: معنى الحوار اصطلاحاً:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للحوار كثيراً عن مدلولاته اللغوية حيث تعرض عدد من الباحثين والكتاب إلى الوصف الاصطلاحي لمعنى لفظة (الحوار)، ولا بد لنا من التعرف على الاستعمالات القرآنية لهذه الكلمة باستفاضةٍ قد تعيننا على فهم معناها بدقة قبل التعرض إلى آراء من وضعوا تعاريف للحوار، بُغية بيان الوضع الاصطلاحي لهذه المفردة. قال تعالى: {وَكَانَ لَهُ نَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}، فالاصطلاح القرآني للحوار وبمختلف استعمالاته دار حول الرجوع ومنه مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر، قال تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}.

<sup>(1)</sup> معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، 1/ 579.

فقد جاء في كتاب وسطية الإسلام: "الحوار مراجعة الكلام وتبادلته بين المتحاورين وصولاً إلى غاية مستنداً إلى أنه يجري بين صاحبين أو اثنين ليس بينهما صراع، ومنه قوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} [الكهف: 37]"<sup>(1)</sup>.

وفي تعريف آخر: "الحوار هو: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"<sup>(2)</sup>. وعرفها النحلاوي بقوله: "الحوار هو: أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة وقد لا يقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً"<sup>(3)</sup>. وقال عنه بسام عجبك: "الحوار هو: محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد

<sup>(1)</sup> آل نواب، أد. عبد الرب نواب الدين، وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، 19. ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب الذي عقد في جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية خلال الفترة من 1-3 / 3 / 1425هـ.

<sup>(2)</sup> الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار. (الرياض: الندوة العالمية، 1415هـ)، 11.

<sup>(3)</sup> النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، (دمشق: دار الفكر، ط2، 1995م)، 206.

كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر<sup>(1)</sup>. وهذا المغامسي يعرف الحوار في بحث له فيقول: "الحوار هو: حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة، الهدف منها الوصول إلى الحقيقة، بعيداً عن الخصومة والتعصب بل بطريقة علمية إقناعية، ولا يُشترط فيها الحصول على نتائج فورية"<sup>(2)</sup>.

### المبحث الثاني: حوارات خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام:

#### المطلب الأول: حوار الخليل مع رب العزة جل جلاله:

من الحوارات القرآنية التي دارت بين رب العزة جل جلاله وبين خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، اختبار الله تعالى خليله بالكلمات التي وردت في كتابه الكريم بقوله: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)}. مما يحسن ذكره في هذا المقام أن نستعير ما ذكره الشيخ الشعراوي بين يدي هذه الآية الكريمة والتي تصلح خير تمهيد للحديث حول الآية، حيث يقول: "وقوله تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}. معناها اذكر وقت أن ابتلى إبراهيم بكلمات. ما معنى الابتلاء؟ الناس يظنون أنه شر ولكنه في الحقيقة ليس كذلك.. لأن الابتلاء هو امتحان إن نجحنا فيه فهو خير وإن رسبنا فيه فهو شر..

<sup>(1)</sup> عجك، بسام، الحوار الإسلامي المسيحي. (دمشق: دار قتيبة، 1418هـ)، 20.

<sup>(2)</sup> المغامسي، خالد بن محمد، الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية (الرياض: مركز

الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط 1، 1425هـ)، 32.

فالابتلاء ليس شرا ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر. الذي ابتلى هو الله سبحانه.. هو الرب.. والرب معناه المربي الذي يأخذ من يريبه بأساليب تؤهله إلى الكمال المطلوب منه.. ومن أساس التربية أن يمتحن المربي من يريبه ليعلم هل نجح في التربية أم لا؟<sup>(1)</sup> ومما ورد في التفسير لهذه الكلمات التي ابتلى الله تعالى بها نبيه وخليته عليه السلام، ما جاء في تفسير عبد الرزاق " قَالَ: ابْتَلَاهُ بِذَبْحٍ وَلَدِهِ، وَبِالنَّارِ، وَالْكَوَاكِبِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ... وفي موضع آخر، ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالطَّهَّارَةِ: حَمْسٌ فِي الرَّأْسِ، وَحَمْسٌ فِي الْجَسَدِ، فِي الرَّأْسِ: السَّوَّكُ، وَالْأَسْتِنْشَاقُ، وَالْمُضْمَضَةُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَقَرَقُ الرَّأْسِ، وَفِي الْجَسَدِ حَمْسَةٌ: تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَالْخِتَانُ، وَالْأَسْتِنْجَاءُ مِنَ الْعَائِطِ، وَالْبَوْلِ، وَنَنْفُ الْإِبْطِ "<sup>(2)</sup>.

وقال السمرقندي: " وَإِذِ ابْتُلِيَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ، أَيِ اخْتَبَرَهُ. وَالْإِخْتِبَارُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَظْهَرَ حَالَهُ لِيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعْطِي الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ بِمَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَظْهَرَ مِنْهُ مَا يَسْتَوْجِبُ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ "<sup>(3)</sup>. وجاء في تفسير القشيري: "ولقد ابتلى الحق - سبحانه - خليته عليه السلام بما فرض عليه وشرع له، فقام بشرط وجوبها، ووفى بحكم مقتضاها، فأنتى عليه سبحانه بقوله: {وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى (37)} [النجم: 37] - من التوفية - أي لم يقصر بوجه

(1) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي. (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، دت)، 1/ 569.

(2) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني. تفسير عبد الرزاق،

(بيروت، دار الكتب العلمية، 1419هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، 1/ 289.

(3) السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث، تفسير السمرقندي، بحر العلوم.

البتة. يقال حمّله أعباء النبوة، وطالبه بأحكام الخلّة، وأشدّ بلاء له كان قيامه بشرائط الخلّة، والانفراد له بالتجافي عن كل واحد وكل شيء، فقام بتصحيح ذلك مختلّياً عن جميع ما سواه، سرّاً وعلناً<sup>(1)</sup>. وفي تفسير السمعاني: "قوله تَعَالَى: {وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ} أَي: اختبر، وَمَعْنَى ابْتِلَاءِ الْعِبَادِ، لَيْسَ لِيَعْلَمَ أَحْوَالَهُمْ بِالابْتِلَاءِ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ وَيَمَّا يَمْلِكُونَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ الْعِبَادَ أَحْوَالَهُمْ، حَتَّى يَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. {بِكَلِمَاتٍ} وَأَمَّا الْكَلِمَاتُ: قِيلَ: هِيَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ "عَشْرٌ مِنَ الْفَطْرَةِ: خَمْسٌ فِي الرَّأْسِ، وَخَمْسٌ فِي الْجَسَدِ. وَالْخَمْسُ الَّتِي فِي الرَّأْسِ الْمَضْمُضَةُ وَالْاسْتِنْشَاقُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَالسَّوَاكُ، وَفَرَقُ الرَّأْسِ. وَأَمَّا اللُّوَاتِي فِي الْجَسَدِ مِثْلَ قَلَمِ الْأَطْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبْطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، وَالْخِتَانِ، وَالْاسْتِنْجَاءِ فِي رِوَايَةِ وَغَسَلَ الْبِرَاجِمِ"<sup>(2)</sup>.

ويتواصل الحوار هنا بين الله سبحانه وتعالى وبين خليله إبراهيم عليه السلام، فيقول الله تعالى: قَالَ {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}، قال أبو جعفر - يعني الطبري - : "يعني جل ثناؤه بقوله: (إني جاعلك للناس إماماً)، فقال الله: يا إبراهيم، إني مصيرك للناس

(1) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، تفسير القشيري. (مصر:

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د ت، المحقق: إبراهيم البسيوني، 1/ 120.

(2) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي. تفسير السمعاني، (الرياض، السعودية: دار الوطن، 1418هـ- 1997م)، المحقق:

ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، 1/ 134.

إماما، يؤتم به ويقتدى به"<sup>(1)</sup>. فماذا كان رد الخليل عليه السلام على هذا التكليف الرباني، (قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)، قال البغوي: " قال إبراهيم: ومن ذريتي. أي: ومن أولادي أيضا فاجعل أئمة يقتدى بهم"<sup>(2)</sup>. فكان رد الله سبحانه تعالى على مسألة إبراهيم عليه السلام في الذرية، {قَالَ لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}، قال الزمخشري فيها: " لا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وقرئ: الظالمون، أي من كان ظالما من ذريتك. لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم. وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة. وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته، ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره، ولا يقدم للصلاة"<sup>(3)</sup>. فكان رد الله سبحانه وتعالى بذلك حجة على خليله عليه السلام، في عدم تولى الظالمين لهذا الأمر الذي قصره الله تعالى على من اصطفاهم من عباده.

ويواصل سبحانه وتعالى حوارَه هنا مع خليله عليه السلام، ويشير إلى العهد الذي عهد به إليه، فيقول: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِنْ

<sup>(1)</sup> الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن "تفسير الطبري". (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م)، المحقق: أحمد محمد شاكر، 18/2.

<sup>(2)</sup> البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). (بيروت: دار إحياء التراث، العربي، 1420 هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، 1/ 162.

<sup>(3)</sup> الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، 1/ 184.

مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّيًّا وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125). قال الماوردي: " قوله تعالى: {وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ} فيه تأويلان: أحدهما: أي أَمَرْنَا والثاني: أي أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل. {أَنَّ طَهَّرْنَا بَيْتِي} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: من الأصنام. والثاني: من الكفار. والثالث: من الأنجاس. وقوله تعالى: {بَيْتِي} يريد البيت الحرام. فإن قيل: فلم يكن على عهد إبراهيم، قبل بناء البيت بيت يطره، قيل: عن هذا جوابان: أحدهما: معناه وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ابنيا بيتي مُطَهَّرًا، وهذا قول السدي. والثاني: معناه أن طهرا مكان البيت. {لِلطَّائِفِينَ} فيهم تأويلان: أحدهما: أنهم الغرباء الذين يأتون البيت من غربة، وهذا قول سعيد بن جبیر. والثاني: أنهم الذين يطوفون بالبيت، وهذا قول عطاء. {وَالْعَاكِفِينَ} فيهم أربعة تأويلات: أحدها: أنهم أهل البلد الحرام، وهذا قول سعيد بن جبیر وقتادة. والثاني: أنهم المعتكفون وهذا قول مجاهد. والثالث: أنهم المصلون وهذا قول ابن عباس. والرابع: أنهم المجاورون للبيت الحرام بغير طواف، وغير اعتكاف، ولا صلاة، وهذا قول عطاء. {وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} يريد أهل الصلاة، لأنها تجمع ركوعاً وسجوداً.

«(1)»

(1) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، النكت والعيون (تفسير الماوردي). (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، د ت)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، 1/ 187.



فأراد نبي الله تعالى وخليله عليه السلام الاستفادة من هذا العهد بدعوته لأهل البيت بدعوات جاء فيها: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)**{البقرة: 126}، قال البغوي فيها: " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا، يعني: مكة، وقيل: الحرم، بلدا آمنا، أي: ذا أمن يأمن فيه أهله، وارزق أهله من الثمرات، إنما دعا بذلك لأنه كان بواد غير ذي زرع، من آمن منهم بالله واليوم الآخر: دعا للمؤمنين خاصة، قال الله تعالى: ومن كفر فأمتعه قليلا، أي: سأرزق الكافر أيضا قليلا إلى منتهى أجله، وذلك أن الله تعالى وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم، وإنما قيد بالقلّة لأن متاع الدنيا قليل، ثم أضطره، أي: ألجئه في الآخرة: إلى عذاب النار وبئس المصير، أي: المرجع يصير إليه"<sup>(1)</sup>.**

ثم توالى دعوات إبراهيم عليه السلام لهذا البلد الذي يحوي بيت الله، فقال: **{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

(1) البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي). (بيروت: دار إحياء التراث، العربي، 1420 هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، 1/166.

(129){البقرة:128-129}. قال عنها ابن كثير في تفسيره: " يقول تعالى: واذكر -يا محمد -لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، البيت، ورفعهما القواعد منه، وهما يقولان: {ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم} فهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما، كما روى ابن أبي حاتم من حديث محمد بن يزيد بن خنيس المكي، عن وهيب بن الورد: أنه قرأ: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا} ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك. وهذا كما حكي الله تعالى عن حال المؤمنين المخلصين"<sup>(1)</sup>. وهنا تتبين لنا حكمة المولى سبحانه وتعالى في اختياره المخلصين من عباده، ليقوموا بما فرضه عليهم من واجبات.

ويأتي في الاتجاه نفسه حوارات أخرى بصيغة الدعوة في موضع آخر من كتاب ربنا الكريم، {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام (35) رب إنهم أضللت كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم (36) ربنا إنني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا (37) ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء (38) الحمد لله الذي وهب لي

<sup>(1)</sup> ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم. (بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، 1/ 427.

عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42).

نطالع هنا تفسير السعدي للآيات الكريمات بقوله: " اذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الحالة الجميلة، إذ قال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ} أي: الحرم {أَمِنًا} فاستجاب الله دعاءه شرعا وقدرًا، فحرمه الله في الشرع ويسر من أسباب حرمة قدرًا ما هو معلوم، حتى إنه لم يرده ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم. لما دعا له بالأمن دعا له ولبنيه بالأمن فقال: {وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} أي: اجعلني وإياهم جانبًا بعيدًا عن عبادتها والإمام بها، ثم ذكر الموجب لخوفه عليه وعلى بنيه بكثرة من افتتنن وابتلي بعبادتها فقال: {رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ}، أي: ضلوا بسببها، {فَمَنْ تَبِعَنِي} على ما جئت به من التوحيد والإخلاص لله رب العالمين {فَأِنَّهُ مِنِّي} لتمام الموافقة ومن أحب قوما وتبعهم التحق بهم، {وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} وهذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام حيث دعا للعاصيين بالمغفرة والرحمة من الله والله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده لا يعذب إلا من تمرد عليه"<sup>(1)</sup>. وهو استئناف

<sup>(1)</sup> السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000 م)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، 426.

للحوار الرباني مع خليل الرحمن عليه السلام، والذي جاء بصيغة الدعاء من النبي الكريم عليه السلام والاستجابة المباشرة من رب الأنام.

وفي جانب آخر من الحوارات التي دارت بين الله تعالى وخليله عليه السلام ما جاء في قوله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (البقرة: 260). فمن لطائف تفسيرات الآية الكريمة ما أورده الإمام القشيري في تفسيره عندما قال في تفسير الآية: " قيل كان في طلب في زيادة اليقين، فأراد أن يقرن حق اليقين بما كان له حاصلًا من عين اليقين. وقيل استجلب خطابه بهذه المقالة إلى قوله سبحانه: «أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ» كنت أومن ولكني اشتقت إلى قولك لي أو لم تؤمن، فإن بقولك لي «أُولَئِمُ تُؤْمِنُ» تطمينا لقلبي، والمحَبُّ أبداً يجتهد في أن يجد خطاب حبيبه على أي وجه أمكنه"<sup>(1)</sup>.

وقال القرطبي: "وقد كان إبراهيم علم لذلك علم خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شبهة، لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك، ولذلك قال الحواريون:"

<sup>(1)</sup> القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، تفسير القشيري (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، دت)، المحقق: إبراهيم البسيوني، 201/1.

وتطمئن قلوبنا" كما قال إبراهيم: "ولكن ليطمئن قلبي"<sup>(1)</sup>. وفيه من إثبات الحجة والبرهان والقناعة التامة التي لا يساورها شك أو ريب في نفس المشاهد للحدث.

فهذه نماذج من الحوارات القرآنية التي دارت بين نبي الله وخليفه إبراهيم عليه السلام وبين رب العزة سبحانه وتعالى، يتبين فيها بجلاء، استخدام الأسلوب الإقناعي والبرهان اليقيني في إثبات المسلمات التي أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون سمة من سمات دعوتنا لله سبحانه وتعالى فكأنما الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا أننا إذا أردنا أن نوصل الفكرة للآخر لا بد من اتباع أسلوب الحجة والمنطق حتى نستميل المستمع إلى ما نريد توصيله إليه.

### المطلب الثاني: حوار الله صلى الله عليه وسلم مع ابنه الذبيح:

وهنا يبرز لنا نموذج آخر من نماذج الحوار التي دارت رحاها بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه الذبيح - بغض النظر عن هو الذبيح - فهذه خلاقات بين المفسرين ليس في استعراضها واستقصائها هدفاً من أهداف البحث - وإنما الذي هدف إليه البحث هو إبراز نماذج الحوارات التي دارت بين الفئات المختلفة في كتاب الله تعالى، وهذا الحوار الذي يدور بين إبراهيم وابنه عليهم السلام إنما هو نموذج من نماذج الحوارات بين الأنبياء، فما هو الحوار الذي دار بين النبيين الكريمين عليهما السلام. {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ

<sup>(1)</sup> القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، "تفسير القرطبي". (لقاهرة: دار الكتب المصرية، ط1384، 2هـ - 1964)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، 6/ 365.

أَنِّي أَدْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ (102) { [الصفات: 102]. وهنا يبرز لنا جانب مهم جداً في الالتزام القاطع والاستجابة الفورية في تنفيذ أوامر المولى سبحانه سواء كان ذلك من النبي الأب أو من النبي الأبن عليهما السلام، قال الزحيلي: " هذه آي المحنة لإبراهيم بعد محنته بإلقائه في النار، وكل من المحنتين في غاية القسوة واختبار الإيمان بالله تعالى، فلما كبر إسماعيل عليه السلام قال له أبوه إبراهيم عليه السلام: يا بني، إنني رأيت في المنام أني أدبحك، فما رأيك؟ أخبره بذلك ليستعد لتنفيذ أمر الله، ويثاب على انقياده وطاعته لربه، وليعلم صبره لأمر الله. فأجابه إسماعيل قائلاً: امض لما أمرك الله من ذبحي، وافعل ما أوحى إليك، سأصبر على القضاء الإلهي، وأحتسب ذلك عند الله عز وجل. والمراد بقوله: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ، السعي على القدم، يريد سعياً متمكناً، أو العمل والعبادة والمعونة. وبدأ تنفيذ أمر الله تعالى، فلما استسلم الأب وابنه لأمر الله وطاعته، وأسلما أنفسهما، أي فوّضا إلى الله في قضائه وقدره وألقى إبراهيم على الأرض ابنه على جنبه وجانب جبهته وهو الجبين، ومعنى وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وضعه بقوة، ونادى الملك إبراهيم من الخلف بعدئذ. قد حصل المقصود من رؤياك، وتحقق المطلوب، وصرت صادقاً مصدقاً بمجرد العزم، وإن لم تذبح"<sup>(1)</sup>. وقال الشعراوي: " أراد إبراهيم أن يُشرك ولده معه في هذا الاختبار، وألاً يأخذه على غرّة حتى لا تتغير نفسه نحو أبيه فيكرهه وهو لا يعلم ما حدث، وأراد أيضاً ألا يحرم ولده من

(1) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط. (دمشق: دار الفكر، 1422 هـ)، 3/ 2181.

الثواب والأجر على هذه الطاعة وهذا الصبر على البلاء. أما إسماعيل فمن ناحيته لم يعارض، ولم يُقَلْ مثلاً: يا أبت هذه مجرد رؤيا وليست وحياً، وكيف نبني عليها، بل نراه يقول: {يا أبت افعل ما تُؤمَرُ} [الصفات: 102] ولم يُقَلْ: أفعَل ما تقول، فما دام الأمر من الله فافعل ما أمرت به {ستجدي إن شاء الله من الصابرين} [الصفات: 102] <sup>(1)</sup>.

أما الشنقيطي فيرى أن هذا الأمر خطير في مفاهيم البشر، ويستحيل تنفيذه إن لم يكن المأمور به في درجة سامية من درجات الإيمان والانقياد لأمر الله تعالى، فيقول: " إنه حدث خطير، وأي رأي للولد في ذبح نفسه، ولكنه التمهيد لأمر الله، فكان موقف الولد لا يقل إكباراً عن موقف الوالد: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدي إن شاء الله من الصابرين، ولم يكن ذلك عرضاً وقبولاً فحسب، بل جاء وقت التنفيذ إلى نقطة الصفر كما يقال. والكل ماضٍ في سبيل التنفيذ: فلما أسلما وتله للجبين، يا له من موقف يعجز كل بيان عن تصويره ويئط كل قلم عن تفسيره، ويتقل كل لسان عن تعبيره، شيخ في كبر سنه يحمل سكيناً بيده، ويئتل ولده وضناه بالأخرى، كيف قويت يده على حمل السكين، وقويت عيناه على رؤيتها في يده، وكيف طاوعته يده الأخرى على تل ولده على جبينه؟ إنها قوة الإيمان وسنة الالتزام، وها هو الولد مع أبيه طوع يده، يتصبر لأمر الله ويستسلم لقضاء الله: ستجدي إن شاء الله من الصابرين، والموقف الآن والد بيده السكين، وولد ملقى على الجبين، ولم يبق إلا توقف الأنفاس للحظة التنفيذ، ولكن

<sup>(1)</sup> تفسير الشعراوي، مرجع سابق، 15/ 9589.

- رحمة الله - أوسع، وفرجه من عنده أقرب: وناديناها أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. فكانت مناسبة عظيمة وفائدتها كبيرة، خلدها الإسلام في الهدى والضحية<sup>(1)</sup>.

وما أحسن ما قيل نظماً في هذه الحادثة الفريدة:

فاضت بالعبرة عيناه \*\*\* أضناه الحلم وأشقاه

شيخ تتمزق مهجته \*\*\* تتدى بالدمع لحاه

ينتزع الخطوة مهموما \*\*\* والكون يناشد مسراه

وغلام جاء على كبر \*\*\* يتعقب في السير أباه

والحيرة تثقل كاهله \*\*\* وتبعثر في الدرب خطاه

ويهم الشيخ لغايته \*\*\* ويشد الابن بيمناه

بلغا في السعي نهايته \*\*\* والشيخ يكابد بلواه

لكن الرؤيا لنبي \*\*\* صدق وقرار يلقاه

والمشهد يبلغ ذروته \*\*\* وأشد الأمر وأقساه

<sup>(1)</sup> الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م)، 8/



إذ تمرق كلمات عجلي \*\*\* ويقص الوالد رؤياه  
وأمرت بذبحك يا ولدي \*\*\* فانظر في الأمر وعقباه  
ويجيب العبد بلا فزع \*\*\* افعل ما تؤمر أبتاه  
لن نعصي لإلهي أمرا \*\*\* من يعصي يوما مولاه!!  
واستل الوالد سكيننا \*\*\* واستسلم الابن لرداه  
ألقاه برفق لجبين \*\*\* كي لا تتلقى عيناه  
أرأيتم قلبا أبويا \*\*\* يتقبل أمرا يأباه؟  
أرأيتم ابنا يتلقى \*\*\* أمرا بالذبح ويرضاه؟  
وتهز الكون ضراعات \*\*\* ودعاء يقبله الله  
تتوسل للملأ الأعلى \*\*\* أرض وسماء ومياه  
ويقول الحق ورحمته \*\*\* سبقت في فضل عطاياه  
صدقت الرؤيا لا تحزن \*\*\* يا إبراهيم فديناه

### المطلب الثالث: حوار إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الرسل

من الحوارات التي حكاها لنا القرآن الكريم، ما جاء بين خليل الرحمن عليه السلام، وبين الملائكة، ومن ذلك: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70)

وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) {هود: 69 - 71}. قال صاحب السراج المنير في تفسير الآيات: "ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى، أي: بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، والمراد بالرسول الملائكة، ولفظ رسلنا جمع وأقله ثلاثة، واختلف في الزائد على ذلك وأجمعوا على أنّ الأصل فيهم كان جبريل عليه السلام، واقتصر ابن عباس وعطاء على أقل الجمع فقالوا: كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الذاريات بقوله تعالى: {هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين} (الذاريات، 24)، وفي الحجر: {ووبئهم عن ضيف إبراهيم} (الحجر، 51). وقال الضحاك: كانوا تسعة. وقال محمد بن كعب القرظي: كان جبريل ومعه سبعة أملاك. وقال السدي: كان جبريل ومعه أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن. (قالوا سلاماً)، أي: سلمنا عليك سلاماً أي: سلموا (قال سلام)، أي: أمركم أو جوابي سلام أو وعليكم سلام. تنبيه: قوله سلام أكمل من قوله السلام، لأنّ التكرير يفيد الكمال والمبالغة والتمام"<sup>(1)</sup>.

ونتابع في الآيات ماذا كان من أمر هؤلاء الأضياف الذين جاءوا للخليل عليه السلام، وما سرهم وحقيقتهم، {فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}، قال الطبري:

<sup>(1)</sup> الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، 1285 هـ)، 2/

" الحنيد: الذي يقطر ماء، وقد شوى"<sup>(1)</sup>. وفي موضع آخر: {فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} [الذاريات: 26]، جاء في تفسير المنار: " هذه الآيات خاصة ببشارة الملائكة لإبراهيم وامرأته بإسحاق ويعقوب. ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى - خبر مؤكد بالقسم لغرابته عند العرب، معطوف على قوله تعالى: ولقد أرسلنا نوحا، ... والمراد بالرسول: جماعة من الملائكة اختلفت الرواية فيهم، وهو نص في المبادرة إلى الإتيان به بدون مهلة كأنه كان مشويا معدا لمن يجيء من الضيف، أو شوي عند وصولهم من غير تزيث"<sup>(2)</sup>.

ثم يتوالى الحوار: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}، قال السمعاني: " قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} أَي: دَخَلَ فِي نَفْسِهِ مِنْهُمْ خِيفَةً. وَفِي التَّفْسِيرِ: أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ إِذَا طَرَقَهُ ضَيْفٌ (فَقَدِمَ) إِلَيْهِ شَيْئًا وَأَكَلَهُ أَمِنْ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَأْكُلْ خَافَ شَرَّهُ. وَقَوْلُهُ: {قَالُوا لَا تَخَفْ} يَعْنِي: نَحْنُ مَلَائِكَةُ اللَّهِ فَلَا تَخَفْ. وَقَوْلُهُ: {وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ"<sup>(3)</sup>.

ثم بعد ذلك انتقل بالحوار مع ملائكة الله بعد أن علم حقيقتهم التي أخبروه

<sup>(1)</sup> تفسير الطبري، مصدر سابق، 15/ 385.

<sup>(2)</sup> رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار" (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، 12/ 106.

<sup>(3)</sup> السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي، تفسير القرآن. (الرياض، السعودية: دار الوطن، 1418هـ - 1997م)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، 5/ 257.

بها فقال: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مُرْدُوْدٍ (76)}، قال ابن الجوزي في زاد المسير: " قوله تعالى: فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ يعني الفرع الذي أصابه حين امتنعوا من الأكل يُجَادِلُنَا فيه إضمار أخذ وأقبل يجادلنا، والمراد: يجادل رسلنا. قال المفسرون: لما قالوا له: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ قال: أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها خمسون مؤمناً؟ قالوا: لا. قال: أربعون؟ قالوا: لا فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فقال حينئذ: إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا"<sup>(1)</sup>. قال ابن عاشور: " والمجادلة هنا: دعاء ومناجاة سأل بها إبراهيم عليه السلام ربه العفو عن قوم لوط خشية إهلاك المؤمنين منهم. وقد تكون المجادلة مع الملائكة. وعديت إلى ضمير الجلالة لأن المقصود من جدال الملائكة التعرض إلى أمر الله بصرف العذاب عن قوم لوط "<sup>(2)</sup>.

ثم ماذا بعد هذه المجادلة التي دارت بين إبراهيم عليه السلام وبين رسل الله من الملائكة، فلما أطال مجادلتهم قالوا ليا إبراهيم أعرض عن هذا {الجدال {إنه قد جاء أمر ربك} بهلاكهم {وإنهم آتيهم عذاب غير مردود}، قال السيوطي:

<sup>(1)</sup> ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1422 هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، 2/388.

<sup>(2)</sup> ابن عاشور، التحرير والتوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 هـ)، 123/12.

" وَإِنَّمَا كَانَ جِدَالَهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ أَيْنَ تُرِيدُونَ وَإِلَىٰ مَنْ بَعَثْتُمْ قَالَ: إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَقَدْ أَمَرْنَا بِعَذَابِهِمْ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ (إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ) (العنكبوت الآية 32) (1).

### المبحث الثالث: تبليغ إبراهيم عليه السلام دعوة الله لأبيه وقومه:

لما كان إبراهيم عليه السلام ممن أجمعت الملل والطوائف على الاعتراف بفضله لأن أكثرهم من نسله؛ كاليهود والنصارى والمشركين من العرب والمسلمين، ولما يعلمونه من إخلاصه لله تعالى واحتمال الأذى فيه، لذلك كثيرا ما احتج عليهم بأحوال إبراهيم عليه السلام، وفي سورة الأنعام بيان لمحااجة إبراهيم عليه السلام ومراجعته لقومه في باطل ما هم عليه مقيمين من عبادة الأوثان وابتدائها بقوله: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخَذُ صُنَامًا آلهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }، فأنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه التأله لصنم يعبد من دون الله، وهو التمثال يصنع على صورة وذكر له أن هذا الفعل فعل التائهيين الذين لا يهتدون أين يسلكون؛ بل هم في حيرة وجهل وضلال بين واضح لكل ذي عقل سليم حيث عبدوا من لا يستحق من العبادة شيئا، وتركوا عبادة خالقهم ورازقهم ومدبرهم (2).

وفي موضع آخر تأتي دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه بأحسن الموعظة

(1) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

(بيروت: دار الفكر، دت)، 4/ 448.

(2) انظر ابن كثير، مرجع سابق، 3/ 289.

وألف العبارة وأحسن إشارة: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِلْأَزْمَتِكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)} [مريم: 41-49]. جاء في التفسير الكبير: " وإنما شرع في قصة إبراهيم عليه السلام لوجوه: أحدها: أن إبراهيم عليه السلام كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وطهارة دينه على ما قال تعالى: (ملة أبيكم إبراهيم) (الحج: 78) وقال تعالى: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) (البقرة: 130) فكأنه تعالى قال للعرب إن كنتم مقلدين لأبائكم على ما هو قولكم: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ومعلوم أن أشرف آبائكم وأجلهم قدرا هو إبراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الأوثان وإن كنتم من المستدلين. فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها إبراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الأوثان وبالجملة فاتبعوا إبراهيم إما تقليدا وإما استدلالا، وثانيها: أن كثيرا من الكفار في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كيف نترك دين آبائنا وأجدادنا فذكر الله تعالى قصة إبراهيم عليه السلام وبين أنه ترك دين أبيه وأبطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة أبيه ليعرف الكفار أن ترجيح جانب الأب على جانب الدليل رد على الأب

الأشرف الأكبر الذي هو إبراهيم عليه السلام<sup>(1)</sup>.

وعلم إبراهيم عليه السلام أن في طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير  
كيفما بلغ حاله في الحنق وبخاصة الآباء مع أبنائهم، فتوجه إلى أبيه بخطابه  
بوصف الأبوة إيماء إلى أنه مخلص له النصيحة، وألقى إليه حجة فساد عبادته  
فيصوره الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطئ، منها على خطئه عندما  
يتأمل في عمله، فبدأ في دعوة أبيه باستنكار ما يعبد، وابتدأ بالحجة الراجعة إلى  
الحس إذ قال له (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فتلك حجة محسوسة فقال:  
(لم تعبد)، للإنكار والتوبيخ، (ما لا يسمع) ما تقوله من الثناء عليه والدعاء له  
ولا يبصر ما تفعله من عبادته ومن الأفعال التي تفعلها مريدا بها الثواب، ويجوز  
أن يحمل نفي السمع والإبصار على ما هو أعم من ذلك أي: لا يسمع شيئا من  
المسموعات، ولا يبصر شيئا من المبصرات ولا يغني عنك شيئا من الأشياء، فلا  
يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضرراً، وهي الأصنام التي كان يعبدها آزر، أورد  
إبراهيم عليه السلام على أبيه الدلائل والنصائح، وصدر كلا منها بالنداء  
المتضمن للرفق واللين استمالة لقلبه ، وامتنالا لأمر ربه.

ثم انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقي الإرشاد من  
ابنه بقوله (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً

<sup>(1)</sup> الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين  
الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب "التفسير الكبير". (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3،

سويا)، فلما قضى حق ذلك انتقل إلى تنبيهه على أن ما هو فيه أثر من وساوس الشيطان، ثم ألقى إليه حجة لائقة بالمتصلبين في الضلال بقوله يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا، أي إن الله أبلغ إليك الوعيد على لساني، فإن كنت لا تجزم بذلك فافرض وقوعه فإن أصنامك لم تتوعدك على أن تفارق عبادتها. وهذا كما في الشعر المنسوب إلى علي - رضي الله عنه:

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجسام قلت: إليكما

إن صح قولكما فليست بخاسر أو صح قولي فإلخاسر عليكما<sup>(1)</sup>

ونستمع إلى رد أبيه على هذه الدعوة الرقيقة قال أبوه (أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ)، قابل استعطافه بالغلظة حيث سماه باسمه ولم يقل يا ولدي وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدده بهمزة الإنكار، ثم أوعده بأقبح وعيد فقال: (لَنْ لَمْ تَنْتَهَ): عن مقالتك أو عن الرغبة عنها (لَأَرْجُمَنَّكَ): بلساني أي أشتمك جزاء سبك آلِهَتِي، وقيل بالحجارة حتى تموت (واهْجُرْنِي)، عطف على مقدر أي: فاحذرنِي واهجرني (مَلِيًّا) زمانًا طويلًا<sup>(2)</sup>.

وفي موقع آخر من كتاب ربنا الكريم تأتي المحاوراة بين خليل الله عليه

<sup>(1)</sup> انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، 112/17.

<sup>(2)</sup> انظر: الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الحسيني الإيجي الشافعي جامع البيان في تفسير القرآن. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2004 م)، 482 /2.



السلام وأبيه وقومه، بصيغة أخرى، وحجج جديدة، بقوله: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ  
مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}. أي وكما وفقناه وأريناه البصيرة  
في دينه والحق، نبين له وجه الدلالة في نظره إلى ملكوت السماوات والأرض،  
ويرى ببصيرته ما اشتملت عليه من الأدلة القاطعة على وحدانية الله عز وجل  
في ملكه وخلقه، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه، ليكون عالماً موقناً فإنه بحسب  
قيام الأدلة يحصل له الإيقان والعلم التام بجميع المطالب، وفي قوله: (وَلِيَكُونَ  
مِنَ الْمُوقِنِينَ) تنبيه على أنه صلى الله عليه وسلم وصل في معرفة ربه إلى مرتبة  
الإيقان بالاستدلال وإقامة البرهان بحيث قدر على إلزامهم بهذه الحجة واقناعهم  
بها، ولكنهم عاندوا وتكبروا. ومناسبة استدلاله لهم بهذه الكواكب ذلك لأن قوم  
إبراهيم كانوا ممن يعبدون الكواكب ويعتقدون إلهية النجوم في السماء ويقال لهم:  
الكلدانيون، أو الكشدانيون، أو الصابئة المشركة؛ فكانوا يعبدون الكواكب  
ويدعونها ويجعلون لكل كوكب صنما من المعادن المنسوبة إليه؛ كالذهب للشمس  
والفضة للقمر ليتقربوا إليها، فالصنم عندهما رمز للكواكب، فإذا أرادوا التقرب إلى  
ذلك الكوكب عبدوا ذلك الصنم. فأنكر إبراهيم عليه السلام أولاً عبادتهم للأصنام  
بحسب الظاهر وذلك في خطابه لأبيه، ثم أبطل منشأها وما نسبت إليه من  
الكواكب وبين عدم استحقاقها لذلك أيضاً وذلك عن طريق المناظرة والاستدلال،  
قال تعالى: (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ  
الْآفِلِينَ) أي لما غطاه الليل وستره رأى نجماً مضيئاً، قال بعضهم: إنه الزهرة  
وقيل: بل المشتري؛ فقال على سبيل المناظرة (هذا ربي): قول من ينصف  
خصمه مع علمه أنه مبطل، وقيل: قاله على وجه النظر الاستدلال، وكان ذلك

في زمان مراهقته وأول أوان بلوغه<sup>(1)</sup>.

وقيل إنما معنى الكلام: أهذا ربي؟ على وجه الإنكار والتوبيخ، أي ليس هذا ربي. والصحيح الذي عليه أكثر المفسرين أنه قال ذلك على وجه الاعتبار والاستدلال لا على وجه الإخبار ولذلك فإن الله تعالى لم يذم إبراهيم عليه السلام على ذلك بل ذكره بالمدح والتعظيم وأنه أراه ذلك كي يكون من الموقنين. قال **القاضي عياض**: " وذهب معظمُ الحُذَّاق من العلماء والمفسرين إلى أن إبراهيم إنما قال ذلك مبكِّتاً لقومه، ومستدلاً عليهم. ومثَّلَ لهم بهذه الأمور لأنهم كانوا أصحابَ علمِ نجومٍ ونظيرٍ في الأفلاك، وهذا الأمر كُلُّهُ إنما وقع في ليلةٍ واحدةٍ "(2). وفي قوله: (فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) أي فلما غاب وذهب قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ قال **قتادة**: علم أن ربه دائم لا يزول فهنا أراد إبراهيم عليه السلام أن بيِّنَ لهم أن الله قائم على عبده كل وقت، وأما النجم فهو آفل يغيب تارة ويظهر تارة.

ثم تتواصل حجة خليل الرحمن على قومه فيأني بدليل آخر على وحدانيته سبحانه وتعالى: قال تعالى: (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ)، أي لما رأى القمر طالعا

<sup>(1)</sup> انظر تفسير الطبري، مرجع سابق، 11/ 470.

<sup>(2)</sup> الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن "تفسير الثعالبي". (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، 2/ 486.

قال: هذا ربي تنزلاً، فلما غاب قال: ( لَيْتُنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ) فافتقر غاية الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له فقالها على معنى الإشفاق والحذر، وفي هذا تلميح لضلال قومه. ثم ماذا بعد؟ جاءت الحجة التالية: (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)، أي فلما انتفتت الإلهية عن هذه الأجرام السماوية الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع، تبرأ إبراهيم عليه السلام من معبوداتهم التي يعبدونها من دون الله وقال: (إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ). فتبرأ من الشرك وأدعن للتوحيد ولم يأخذه في الله لومة لائم، ولم يستوحش من الجهر بالحق والثبات عليه مع خلاف جميع قومه لقوله وإنكارهم عليه، وبين لهم أنه وجه وجهه في عبادته للذي خلق السماوات والأرض، وذلك على ما يجب لله من التوحيد مقبلاً عليه معرضاً عما سواه متبرئاً من المشركين فليس هو منهم ولا ممن يدين دينهم.

ولكن قوم إبراهيم لم يذعنوا للحق بعد بيانه لهم وأقاموا على باطلهم وصاروا يناظرون إبراهيم، قال الله تعالى: (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ). وفي تفسير ابن أبي حاتم: قال ابن عباس في

قوله (أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ) أخاصموني في الله<sup>(1)</sup>. فصار قوم إبراهيم عليه السلام يجادلونه وينظرونه فيما ذهب إليه من التوحيد، وأوردوا عليه الشبه بما يدل على أن أصنامهم التي يعبدون آلهة. فقال كيف تجادلونني في أمر الله وقد بصرني وهداني إلى الحق، وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني وأنا على بينة من أمري، فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة. وهذا تأكيد للإنكار؛ فإن كونه مهدياً من جهة الله تعالى ومؤيداً من عنده مما يوجب استحالة محاجته. ولما خوفوه آلهتهم أن تمسه بسوء، أجابهم بعدم خوفه وأنها لا تضر ولا تنفع، فكيف يخافها ولكن خوفه من الله الذي إن شاء ناله في نفسه أو ماله بما شاء من جهته تعالى من غير دخل لتلك الآلهة فيه أصلاً؛ لأنه القادر على ذلك، إظهاراً منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلامه لأمره، واعترافاً بكونه تحت ملكوته وربوبيته. ثم تعجب من حالهم وكيف يخوفونه بآلهتهم وفي نفس الوقت لا يخافون الله الذي خلقهم ورزقهم فقال: (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

<sup>(1)</sup> ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. (السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419، 3هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، 4 / 1331.

وبعد هذه المحاورات والمجادلات جاء إعلان توجهه عليه السلام لله تعالى، قائلاً: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)} [الأنعام: 79]. والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظراً لقومه، مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة.

ثم في خاتمة هذا الحوار الذي حج به إبراهيم عليه السلام قومه جاء التوضيح من المولى سبحانه وتعالى على هذه الحجة فقال: ( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ) الإشارة في قوله ( وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ) إلى ما تقدم من الحجج التي أوردها إبراهيم عليه السلام عليهم، أي تلك البراهين من قوله: ( فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ) إلى قوله: ( وَهُمْ مُهْتَدُونَ ) وتلك الحجج والبراهين علا بها إبراهيم عليه السلام على قومه وقطع عذرهم وانقطعت حججهم، فرفعنا درجته عليهم في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فأتيناها أجره، وأما في الآخرة فهو من الصالحين ( نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ) أي كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة.

## المطلب الأول: حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه والحجج الدامغة في ذلك

وهنا في هذا المشهد من الحوارات القرآنية التي دارت بين خليل الله إبراهيم عليه السلام وابيه وقومه يأتي هذا المشهد ليصور لنا في براعة فائقة ما دار بين إبراهيم عليه السلام وهو يحاور قومه ليهديهم إلى الرجوع عن الكفر والعودة إلى خالقهم والإيمان به وترك ما يعبدون من أصنام وآلهة أخرى، وقد واجههم في ذلك بحجج وبراهين وأدلة دامغة وبينه، حتى حاروا في أمرهم وكادوا أن يعودوا من غيهم وضلالهم، ولكن كيد الشيطان كان سابقاً، فنستمع إلى الآيات القرآنية التي صورت لنا هذا المشاهدة المتعددة في صورة بيانية رائعة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ النَّمَاتُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ

عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71){[الأنبياء: 51 - 71]. قال الماوردي في قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ} " فيه وجهان: أحدهما: رُشده: النبوة، حكاه ابن عيسى. الثاني: هو أن هداه صغيراً، قاله مجاهد، وقتادة. {من قَبْلُ} فيه وجهان: أحدهما: من قبل أن يرسل نبياً. الثاني: من قبل موسى وهارون"<sup>(1)</sup>.

ويصور سيد قطب هذا المشهد المهيّب بقوله: " وبعد الإشارة السريعة إلى موسى وهارون وكتابهما يترد السياق إلى حلقة كاملة من قصة إبراهيم، وهو جد العرب الأكبر وباني الكعبة التي يحشدون فيها الأصنام، ويعكفون عليها بالعبادة، وهو الذي حطم الأصنام من قبل. والسياق يعرضه هنا وهو يستنكر الشرك ويحطم الأصنام. والحلقة المعروفة هنا هي حلقة الرسالة. وهي مقسمة إلى مشاهد متتابعة، بينها فجوات صغيرة. وهي تبدأ بالإشارة إلى سبق هداية إبراهيم إلى الرشد. ويعني به الهداية إلى التوحيد. فهذا هو الرشد الأكبر الذي

<sup>(1)</sup> الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، النكت والعيون (تفسير الماوردي). (بيروت: دار الكتب العلمية، د ت، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، 3/ 450.

تنصرف إليه لفظة الرشد في هذا المقام، (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، وكنا به عالمين..). آتينا رشده، وكنا عالمين بحاله وباستعداده لحمل الأمانة التي يحملها المرسلون، (إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) فكانت قولته هذه دليل رشده . . . سمي تلك الأحجار والخشب باسمها: (هذه التماثيل) ولم يقل: إنها آلهة، واستنكر أن يعكفوا عليها بالعبادة<sup>(1)</sup>. وهناك في موقع آخر من سورة الصافات: (إِذْ قِيلَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَنْفِكَا إِلَهِيَّةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ (86))، حيث سألهم سؤال استنكار عن عبادتهم ثم استدرك ذلك بالإجابة التي يعرفها سلفاً، قال الطبري: أي: أكذبا معبودا غير الله تريدون<sup>(2)</sup>. ثم دعاهم الله رب العالمين فقال: (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، بمعنى كيف يكون ظنكم بالله وقد لقيتموه يوم البعث وأنتم تشركون به وتعبدون غيره.

فماذا كان ردهم عليه عندما وجه لهم هذا السؤال إنها إجابة العاجز مسلوب الإرادة الذي لا يعمل عقله الذي وهبه له المولى سبحانه وتعالى في موازنة الأمور، (قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين)، وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميتة، في مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمها الحقيقية لا التقليدية. فالإيمان بالله طلاقة وتحرر من القداصات الوهمية التقليدية، والوراثات المتحجرة التي لا

<sup>(1)</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن. (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط5، 1386 هـ)، 5/159.

<sup>(2)</sup> انظر: تفسير الطبري، مصدر سابق، 565/15.



تقوم على دليل. وتواصل سجال الحوار بينهم فيقول لهم عليه السلام: (قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، ويعني بذلك بعبادتكم أنتم وأباؤكم لهذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وقد ورد في الأثر أن أبيه كان يصنع الأصنام فيعطيها له ليبيعهما في السوق فيقول من يشتري ما لا ينفع ولا يضر، كما جاء ذلك في تفسير السمرقندي: " قَالَ السدي: كان أبوه يصنع الأصنام، يبعث بها مع بنيه فيبيعونها، فبعث إبراهيم بصنم ليبيعه، فجعل ينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه، وكان إخوته يبيعون ولا يبيع هو شيئاً" (1). وكان هذا الرد بمثابة لفت انتباه لهم ليراجعوا أنفسهم في عبادتهم لهذه الآلهة من غير تفكير ولا أعمال للعقل، فقالوا: (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ). فعبروا عنه بالحق المقابل للعب وذلك مسمى الجدّ. فالمعنى: بالحق في اعتقادك أم أردت به المرح، وتواصل الحوار بينهم على هذا المنوال يريد أن يصل بهم إلى ترك ما يعبدون من آلهة الله وأن يعودوا إلى رشدهم ويحكموا عقولهم ويتبعوا سبيل الرشاد. وهو سؤال المزعزع العقيدة، الذي لا يطمئن إلى ما هو عليه، لأنه لم يتدبره ولم يتحقق منه. ولكنه كذلك معطل الفكر والروح بتأثير الوهم والتقليد. فهو لا يدري أي الأقوال حق. والعبادة تقوم على اليقين لا على الوهم المزعزع الذي لا يستند إلى دليل! وهذا هو التيه الذي يخطب فيه من لا يدينون بعقيدة التوحيد الناصعة الواضحة المستقيمة في العقل والضمير. فأما إبراهيم فهو مستيقن واثق عارف

(1) تفسير السمرقندي، مرجع سابق، 2/429.

بربه، متمثل له في خاطره وفكره، يقولها كلمة المؤمن المطمئن لإيمانه: قال: (بل ربحكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن، وأنا على ذلكم من الشاهدين). فهو رب واحد. رب الناس ورب السماوات والأرض. ربوبيته ناشئة عن كونه الخالق. فهما صفتان لا تتفكان: (بل ربحكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن). إنه واثق وثوق الذي يشهد على واقع لا شك فيه: (وأنا على ذلكم من الشاهدين). وإبراهيم عليه السلام لم يشهد خلق السماوات والأرض، ولم يشهد خلق نفسه ولا قومه. . ولكن الأمر من الوضوح والثبوت إلى حد أن يشهد المؤمنون عليه واثقين.. إن كل ما في الكون لينطق بوحدة الخالق المدبر. وإن كل ما في كيان الإنسان ليهتف به إلى الإقرار بوحداية الخالق المدبر، وبوحدة الناموس الذي يدبر الكون ويصرفه. ثم يعلن إبراهيم لمن كان يواجههم من قومه بهذا الحوار. أنه قد اعتزم في شأن آلهتهم أمرا لا رجعة فيه.

ثم انتقل إبراهيم عليه السلام من تغيير المنكر بالقول إلى تغييره باليد معلناً عزمه على ذلك بقوله: (وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) مؤكداً عزمه بالقسم، فالواو عاطفة جملة القسم على جملة الخبر التي قبلها. والتاء تختص بقسمٍ على أمر متعجب منه وتختص باسم الجلالة. ويترك ما اعتزمه من الكيد للأصنام مبهما لا يفصح عنه.. ولا يذكر السياق كيف ردوا عليه. ولعلمهم كانوا مطمئنين إلى أنه لن يستطيع لآلهتهم كيذا. فتركوه! (فجعلهم جذازا إلا كبيرا لهم لعلمهم إليه يرجعون)، وتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة.. إلا كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم (لعلمهم إليه

يرجعون) فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة! لعلهم حينئذ يرجعون القضية كلها، فيرجعون إلى صوابهم، ويدركون منه ما في عبادة هذه الأصنام من سخف وتهافت.

وكانت الصيغة الأخرى التي ذكرها القرآن الكريم لحادثة تحطيم الأصنام، في سورة الصافات أن اعتذر عن الخروج معهم في عيدهم، وقد أضمر في نفسه أمراً أراد أن يقيم عليهم الحجة في فساد آلهتهم التي يعبدونها من دون الله: (فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93))، قال البغوي: "فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم"، قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع، وكانوا يدخلون على أصنامهم ويقربون لهم القرابين، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم - زعموا - للتبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج غدا معنا إلى عيدنا؟ فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم. قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرّون من الطاعون فرارا عظيما. قال الحسن: مريض. وقال مقاتل: وجع. وقال

الضحاك: سأسقم"<sup>(1)</sup>. وقالوا: إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فإنه كان قد أرف خروجهم إلى عيد لهم فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرهما فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه "فتولوا عنه مدبرين"<sup>(2)</sup>.

وعاد القوم ليروا آلهتهم جذاذا إلا ذلك الكبير! ولكنهم لم يرجعوا إليه يسألونه ولا إلى أنفسهم يسألونها: إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئا. وهذا كبيرها كيف لم يدفع عنها؟ لم يسألوا أنفسهم هذا السؤال، لأن الخرافة قد عطلت عقولهم عن التفكير، ولأن التقليد قد غل أفكارهم عن التأمل والتدبر. فإذا هم يدعون هذا السؤال الطبيعي لينتقموا على من حطم آلهتهم، وصنع بها هذا الصنيع: ( قالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين)، عندئذ تذكر الذين سمعوا إبراهيم ينكر على أبيه ومن معه عبادة هذه التماثيل، ويتوعدهم أن يكيد لآلهتهم بعد انصرافهم عنها! قالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم). ويبدو من هذا أن إبراهيم عليه السلام كان شابا صغير السن، حينما آتاه الله رشده، فاستنكر عبادة الأصنام وحطمها هذا التحطيم. ولكن أكان قد أوحى إليه بالرسالة في ذلك الحين؟ أم هو إلهام هداه إلى الحق قبل الرسالة.

<sup>(1)</sup> البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن "تفسير البغوي". (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)،

المحقق: عبد الرزاق المهدي، 34/4.

<sup>(2)</sup> انظر تفسير ابن كثير، مرجع سابق.

فدعا إليه أباه، واستنكر على قومه ما هم فيه؟.  
هذا هو الأرجح.

في هذه الأثناء ثارت ثائرتهم وبلغوا من الغضب مبلغاً كبيراً فأصبحوا يتسألون عن فعل هذا بالهتيم، فقالوا حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل عليه السلام في أصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها، وعلى سخافة عقول عابديها، (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) أي في صنيعه هذا أي إن من فعل هذا الكسر لشديد الظلم لجرأته على الآلهة الجديرة - عندهم - بالتوقير والتعظيم، (قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)، وفي تفسير الخازن: فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَعْنِي إِلَى إِبْرَاهِيمَ يَزْفُونَ أي يسرعون وذلك أنهم أخبروا بصنع إبراهيم بالهتيم فأسرعوا إليه ليأخذوه قال لهم إبراهيم على وجه الحجاج أَتَعْبُدُونَ مَا تَتَّحِثُونَ أَي بِأَيْدِيكُمْ مِنَ الأصْنَامِ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ أَي وعملكم. وقيل وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام<sup>(1)</sup>. فطلبوا أن يمثل إبراهيم عليه السلام ليستفسروه عن فعلته هذه، وعن تحطيمه لأصنامهم التي يعبدونها، فكان جوابه ورده عليهم غاية في إثبات الحجة والبرهان والدليل الدامغ الذي لا عذر بعده لمن لم يتعظ ويعتبر بقله بحيلة هذه الآلهة التي تعجز عن أن تدفع عن نفسها ضرا أو شرا وقع عليها فضلاً عن أن تنفع أو تضر غيرها من هؤلاء الذين يعبدونها

<sup>(1)</sup> انظر: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن المعروف بالخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، 1415 هـ)، 21،4.

ويعتقدون نفعها وضرها، قَالَ إبراهيم عليه السلام؛ أي: بعدما أتوا به، وجرى بينهم وبينه من المحاورات، ما نطق به قوله تعالى في سورة الأنبياء: (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62)) أي: قال لهم حال كونه يؤنبهم ويعيبهم: (أَتَعْبُدُونَ) بهمزة الاستفهام الإنكاري ما تَتَحْتُونَ من الأصنام. أي: أتعبدون أصناماً أنتم تتحتونها، وتبرونها، وتصلحونها. وتأكيدا في إقامة الحجة عليهم قال لهم: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)). ففي تفسير ابن عاشور: وقوله تعالى (فعله كبيرهم هذا) الخبر مستعمل في معنى التشكيك، أي لعله فعله كبيرهم إذ لم يقصد إبراهيم نسبة التحطيم إلى الصنم الأكبر لأنه لم يدع أنه شاهد ذلك ولكنه جاء بكلام يفيد ظنه بذلك حيث لم يبق صحيحاً من الأصنام إلا الكبير. وفي تجويز أن يكون كبيرهم هذا الذي حطمهم إخطار دليل انتفاء تعدد الآلهة لأنه أوهمهم أن كبيرهم غضب من مشاركة تلك الأصنام له في العبودية، وذلك تدرج إلى دليل الوجدانية، فأبراهيم في إنكاره أن يكون هو الفاعل أراد إلزامهم الحجة على انتفاء ألوهية الصنم العظيم ، وانتفاء ألوهية الأصنام المحطمة بطريق الأولى على نية أن يكر على ذلك كله بالإبطال ويوقنهم بأنه الذي حطم الأصنام وأنها لو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها ولو كان كبيرهم كبير الآلهة لدفع عن حاشيته وحرفائه ولذلك قال (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) تهكماً بهم وتعريضاً بأن ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل

للإلهية<sup>(1)</sup>. وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، وأنهم لا يستحقون أن يكونوا آلهة تعبد ويقدم لها القرابين.

### المطلب الثاني: حوار الخليل عليه السلام مع الملك مدعي الألوهية:

ونتجه وجهة أخرى من حوارات خليل الرحمن عليه السلام، وهذه المرة كان حواراً عليه السلام مع ذلك الملك الذي آتاه الله ملك الدنيا، ولكنه كفر وتجبر وادعى الألوهية، فلنستمع إلى هذا الحوار الذي ظهرت فيه الحجة على هذا الكافر واضحة بينة، حين قال الله تعالى فيه: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾ [البقرة: 258]، قالوا فيها: المعنى: هل انتهى إليك خبر الذي خاصم وجادل إبراهيم في ربه وهو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض، وادعى ربوبية. ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ والعامل في (أن) حاج، تقديره: حاج لأن أعطاه الله الملك، فطغى، فكانت المحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض مؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، وكافران: نمرود

<sup>(1)</sup> تفسير ابن عاشور، مرجع سابق، 327.

وبخت نصر<sup>(1)</sup>.

والمعنى العام الذي يفهم من هذه الآية الكريمة هو: ألم تر يا محمد إلى الذي يجادل إبراهيم في وجود ربه، وربوبيته وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره. وما حمله على هذا الطغيان، والكفر الغليظ، والمعاندة الشديدة، إلا تجبره، وطول مدته في الملك. وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه. فقال إبراهيم: إنما الدليل على وجوده، وربوبيته، ظاهرة الإحياء والإماتة. فظاهرة الإحياء والإماتة تدل على الله بما لا يقبل جدلا، إذ كيف تعطل ظاهرة الحياة، والإماتة بدون الله. وقد استدل إبراهيم بهذه الظاهرة على وجود ربه، وربوبيته، لأنها أقرب الظواهر البديهية على وجود ربنا عز وجل، فعند ذلك قال المحاج: أنا أحيي وأميت. قال قتادة، ومحمد بن إسحاق، والسدي، وغير واحد: وذلك أنني أوتى بالرجلين، قد استحقا القتل. فأمر بقتل أحدهما، فيقتل. وأمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل. وليس هذا جوابا لما قال إبراهيم، ولا في معناه، لأنه غير مانع لوجود الصانع. وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة، ويوهم أنه الفاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيي ويميت. ولهذا قال إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ أي إذا كنت تدعي أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في

<sup>(1)</sup> انظر: المقدسي الحنبلي مجير الدين بن محمد العلمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن. (الدوحة: دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1430 هـ، 2009 م)، 1/



خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته. فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق. فإن كنت إليها كما ادعيت، فأت بها من المغرب؟ فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام، بهت. أي: أخرس فلا يتكلم. وتلك سنة الله تعالى أنه لا يلهم الظالمين حجة، ولا برهانا. بل حجتهم داحضة عند ربهم، ومن ثم فإن أبسط المؤمنين يقيم الحجة على أكثر الكافرين عنادا.

وقال النيسابوري كلاماً غاية في الإبداع وبيان الحجة والدليل والبرهان: " ويجوز أن يكون المعنى: حاج وقت أن آتاه. وعن مقاتل أن هذه المحاجة كانت حين ما كسر إبراهيم الأصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال: من ربك الذي تدعو إليه؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت. وهذا دليل في غاية الصحة لأن الخلق عاجزون عن الإحياء والإماتة فلا بد أن يستند إلى مؤثر قادر مختار خبير بأجزاء الحيوان وأشكاله، بصير بأعضائه وأحواله... ويروى أن الكافر دعا حينئذ شخصين فاستبقى أحدهما وقتل الآخر وقال: أنا أيضا أحيي وأميت. ثم للناس في هذا المقام طريقان: الأول وعليه أكثر المفسرين أن إبراهيم عليه السلام لما رأى من نمرود أنه ألقى تلك الشبهة عدل عن ذلك إلى دليل آخر ومثال آخر أوضح من الأول فقال فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ قالوا: وفي هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة. وأورد عليه أن الشبهة إذا وقعت في الأسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب أن يذكر الجواب في الحال إزالة لذلك الجهل واللبس.

ولما طعن الملك الكافر في الدليل الأول أو في المثال الأول بتلك الشبهة كان الاشتغال بإزالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم أن يترك ذلك الواجب مع أن فيه إيهام أن كلامه الأول كان ضعيفا؟ ولئن سلمنا أن الانتقال من دليل إلى دليل حسن لكنه يجب أن يكون المنتقل إليه أوضح. لكن الاستدلال بالإحياء والإماتة على وجود الصانع أظهر وأقوى من الاستدلال بطلوع الشمس، فإن جنس الحياة لا قدرة للخلق عليه، وأما جنس تحريك الأجسام فللخلق قدرة عليه. وأيضا دلالة الإحياء والإماتة على الحاجة إلى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات أقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الأفلاك على نهج واحد<sup>(1)</sup>.

وفي محاسن التأويل: " إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ سَأَلَهُ مِنْ رَبِّكَ الَّذِي تَدْعُونَ إِلَيْهِ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ أَي بِنَفْخِ الرُّوحِ فِي الْجَسْمِ وَإِخْرَاجِهَا مِنْهُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ أَي بِالْقَتْلِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ. ولما سلك الطاغية مسلك التلبيس والتمويه على الرعاع، وكان بطلان جوابه من الجلاء والظهور بحيث لا يخفى على أحد، والتصدي لإبطاله من قبيل السعي في تحصيل الحاصل، انتقل إبراهيم عليه السلام، إرسالا لعنان المناظرة معه، إلى حجة أخرى لا تجري فيها المغالطة ولا يتيسر للطاغية أن يخرج عنها بمخرج مكابرة أو مشاغبة أو تلبيس على العوام. وهو ما قصه تعالى بقوله قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ

<sup>(1)</sup> النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، غرائب القرآن و رغائب الفرقان (تفسير النيسابوري). (بيروت: دار الكتب العلمية، 1416 هـ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، 2،

بها مِنَ الْمَغْرِبِ أَي إِذَا كُنْتَ كَمَا تَدْعِي مِنْ أَنَّكَ تَحْيِي وَتَمِيت فَالَّذِي يَحْيِي وَيَمِيت هُوَ الَّذِي يَتَصَرَّفُ فِي الْوُجُودِ، فِي خَلْق ذَوَاتِهِ وَتَسْخِيرِ كَوَاكِبِهِ وَحَرَكَاتِهِ. فَهَذِهِ الشَّمْسُ تَبْدُو كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَإِنْ كُنْتَ إِلَيْهَا كَمَا ادَّعَيْتِ فَأَتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ تَحْيِيرٌ وَدَهْشٌ وَغَلْبٌ بِالْحِجَّةِ، لَمَّا عَلِمَ عِزَّهُ وَانْقِطَاعَهُ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَكَابِرَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أَي لَا يُلْهِمُهُمْ حِجَّةً وَلَا بَرَهَانًا. بَلْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ [الشورى:16] <sup>(1)</sup>. وقد أشار ابن عاشور إلى جواز إطلاق الحجة وتكون مرجوحة وغير مقنعة ولا مبررة، فقال في معرض حديثه في شرح الآية وهو يشير إلى الحجة الواهية: "... وأما إطلاقها على الشبهة - أي الحجة - فمجاز لأنها تورث في صورة الحجة ومنه قوله تعالى: حجته داحضة عند ربهم [الشورى:16] <sup>(2)</sup>. وهكذا اتضح لنا جليا الحجة الدامغة والبرهان الساطع والدليل القوي الناهض المبكِّت للمخالف في إثبات ألوهية الله سبحانه وتعالى التي أراد الله تعالى أن يبلغها إبراهيم عليه السلام لقومه بطريق هذا الملك المتجبر.

## الخاتمة والنتائج:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد المبعوث

<sup>(1)</sup> القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل. (بيروت: دار

الكتب العلمية، 1418 هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، 2/196.

<sup>(2)</sup> انظر: التحرير والتنوير، مرجع سابق، 2/46.

بالهدى والبيّنات، وعلى آله وصحبه والتابعين، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

- يعتبر القرآن المصدر الفكري والتربوي الذي يحترم عقل الإنسان ويمنحه الحرية الفكرية.
- وضحت لنا بصورة جلية جداً عظيم درجة إبراهيم عليه السلام ومكانته عند أهل الملل جميعاً.
- رزق إبراهيم -عليه السلام- الهداية منذ صغره، وكان ينكر على أبيه صناعة الأصنام.
- دعوة أبيه بأحسن الموعظة وألطف العبارة وأحسن إشارة.
- كان رد أبيه الغلظة والقسوة والإصرار على الكفر.
- ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الوالدين ولو كانوا كفاراً.
- جواز الدعاء للكافر الحي بقصد الهداية؛ فقلوب الدعاة إلى الله رحيمة.
- فضل العلم الذي يخضع له الكبير تواضعاً للشرع: يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ.
- مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه، وإقامة الحجة عليهم.
- خطر التقليد الأعمى والاتباع على غير بصيرة.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

## فهرس المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد الحاكم النيسابوري ط حيدر آباد 1335هـ.

3- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري.

4- الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، القاهرة، ط 1970م.

5- أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي ط 1985م.

6- اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، د. سعيد إسماعيل علي، دار الفكر 1412هـ 1991م.

7- الوابل الصيب من الكلم الطيب، شمس الدين محمد المعروف بابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتب بيروت.

8- أصول التربية الإسلامية، أ. عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، طبعة 1981م.

9- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، بيروت مؤسسة الرسالة طبعة 1417هـ.

10- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، دار الحديث، بيروت.

- 11- الإتيان في علوم القرآن، للحافظ أبي بكر السيوطي.
- 12- التغيير على منهاج النبوة، أ. جمعة أمين عبد العزيز، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية.
- 13- بناء المجتمع الإسلامي، د. عبد الرحمن مبارك الفرج، دار الفرقان للنشر، الرياض، ط2، 1422هـ.
- 14- تنمية الكفايات النوعية الخاصة بتعليم القرآن الكريم لدى طلاب كلية التربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- 15- تفسير القرآن الكريم للإمام ابن كثير ط1، 1420هـ - 2000م، دار إحياء التراث العربي.
- 16- تعلم المتعلم طريق التعلم، برهان الإسلام الزرنوجي، الكتاب الإسلامي، بيروت، طبعة 1981م.
- 17- سنن أبي داود، الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، ط1، دار الحديث، بيروت، 1388هـ.
- 18- سنن الترمذي الإمام محمد بن عيسى الترمذي، ط2، بيروت، دار إحياء التراث.
- 19- سنن ابن ماجة الحافظ أبو عبد الله محمد بريد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.
- 20- صحاح مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط1،

بيروت دار الفكر 1403هـ.

21- طرق تدريس التربية الإسلامية، عبد الرحمن عبد الله المالكي، كتاب الأمة العدد 106.

22- في أصول الحوار، دار النشر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

23- كيف ندرس القرآن الكريم لأبنائنا، سراج محمد عبد العزيز.

24- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مكة المكرمة، دار ابن باز.

25- أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

26- التفسير القرآني للقرآن - الدكتور/ عبد الكريم الخطيب- دار الفكر العربي - القاهرة.

27- التوقيف على مهمات التعاريف- محمد عبد الرؤوف المناوي- تحقيق: د. محمد رضوان الداية-الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق- الطبعة الأولى، 1410هـ.

28- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) . محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله - دار الشعب - القاهرة-الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.

29- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) -محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي- دار إحياء التراث العربي-بيروت- تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون.

- 30- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي - المحقق: هشام سمير البخاري - دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية - 1423 هـ / 2003 م.
- 31- المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام - علي بن نايف الشحود.
- 32- الموسوعة العربية العالمية.
- 33- جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري - تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى: 1420 هـ - 2000 م.
- 34- حلية طالب العلم - بكر أبو زيد - مؤسسة قرطبة، ط3، 1409 هـ.
- 35- صحيح مسلم - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري - دار الجيل بيروت.
- 36- عمدة القاري - بدر الدين العيني الحنفي - ملفات وورد من ملتقى أهل الحادي 1427 هـ.
- 37- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - أ. د. محمد السيد راضي جبريل - موقع الإسلام - <http://www.al-islam.com>
- 38- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى.
- 39- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - محمد بن أبي بكر بن قيم



الجوزية- دار الكتاب العربي - بيروت-الطبعة الثانية، 1393 - 1973-تحقيق:  
محمد حامد الفقي.

40- المقدمة - العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - دار الجيل بيروت -  
دون تاريخ

41- شجرة الحضارة-رالف لنتون- ترجمة أحمد فخري-مكتبة الأنجلو مصريّة-  
دون تاريخ.

42- صدام الحضارات - صامويل هانتنتغتون - إصدار مجلة شؤون الأوسط -  
مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت- 1995.

43- تاريخ الحضارات العامّ - إشراف موريس كروزيه - نقله إلى العربيّة فريد  
داغر وفؤاد أبو ریحان - منشورات عويدات، بيروت - الطبعة الأولى 1964.

44- نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير  
المسلمين.

45- خلاصة تاريخ العرب، سيديو، ترجمة علي باشا مبارك، ط 1 مطبعة محمد  
أفندي، مصر، 1309هـ.

46- مفهوم العدل في الإسلام: مجيد خدوري، دراسات في الفكر الديني،  
دمشق، 1998م.

47- (sabatino moscati: the semites in ancient history).

48- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته-سيد قطب-دار الفكر- بيروت-

الطبعة الثالثة: 1988م.

49- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل - علي بن نايف الشحود.

50- المدخل إلى تاريخ الحضارة - جورج حدّاد - مطبعة الجامعة السوريّة - 1958م.

51- تاريخ الحضارة الكتاب، ويل دورانت، الرابع (عصر الايمان، الفصل الثاني: الحضارة الاسلامية، طهران، انتشارات اقبال، 1343 هـ.